بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمَّدًا عبده ورسوله ؛ صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وعلى آله وصحبه أجمعين . أمَّا بعد : نواصل القراءة في هذا الكتاب النافع «**الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت**» لابن البنا رحمه الله تعالى .

يقول المصنف رحمه الله تعالى تحت باب «السكوت ولزوم البيوت» :

٢٠- أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَوَارِسِ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْفَوَارِسِ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ الصَّوَّافِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ الْحِمْصِيُّ، حَدَّثَنَا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ عَمْرٍو السَّكُونِيُّ، حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاذًا يَقُولُ: إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءً وَفِتْنَةً، وَلَنْ يَزْدَادَ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَنْ تَرَوْا مِنَ الْأُمَرَاءِ إِلَّا غِلظة، وَلَنْ تَرَوْا أَمْرًا يَهُولُكُمْ وَيَشْتَدُّ عَلَيْكُمْ إِلَّا حَقَرَهُ بَعْدُ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ. قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللَّهُمَّ رَضِّنَا اللَّهُمَّ رَضِّنَا.

****

أورد المصنف رحمه الله تعالى هذا الأثر عن معاذ رضي الله عنه يقول : ((**إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءً وَفِتْنَةً**)) وذلك أن الدنيا دار ابتلاء ودار امتحان قد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥] ، فالدنيا دار ابتلاء ولهذا يقول رضي الله عنه ((**لَنْ تَرَوْا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءً وَفِتْنَةً**)).

قال رضي الله عنه : ((**وَلَنْ يَزْدَادَ الْأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً**)) وذلك أن أمور أهل الإيمان من كمال إلى نقص ، ولا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده دونه وأقل منه .

قال : ((**وَلَنْ تَرَوْا مِنَ الْأُمَرَاء إِلَّا غِلظة**)) و«كيفما تكونوا يولى عليكم» ، كلما كان نقص الناس في ديانتهم وفي عبادتهم في صدقهم مع الله يكون الحال كذلك فيمن يولَّى عليهم ، «» كيفما تكونوا يولى عليكم» .

((**وَلَنْ تَرَوْا أَمْرًا يَهُولُكُمْ وَيَشْتَدُّ عَلَيْكُمْ إِلَّا حَقَرَهُ بَعْدُ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ**)) ؛ قد يرى الإنسان أمرًا مهولًا وأمرًا يراه شديدًا عظيما ثم يأتي إلى الزمان الذي بعده أو يمتد به العمر فيرى أمورًا أشد مما كان يراه في مثلا شبابه ، بمعنى أن الأمور في تغيرها بهذا الحال .

هذا كله قاله رضي الله عنه تنبيهًا للؤمن إلى ما ينبغي أن يكون عليه في الابتلاء من مجاهدة للنفس على الثبات على الحق وصدق الالتجاء إلى الله عز وجل ، والرضا بالله وعن الله سبحانه وتعالى ، وألَّا ينحرف في خضمّ الفتن التي تداهمه وتُهلك من تُهلك من الناس مستعيذًا بالله سبحانه وتعالى من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ولهذا ((**قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحمه : اللَّهُمَّ رَضِّنَا مرتين**)) وهذا فيه أن أهم ما ينبغي أن يكون عليه المسلم في هذه الأحوال الرضا بالله سبحانه وتعالى والرضا عنه عز وجل ؛ وهما أمران مهمان للغاية : الرضا بالله ، والرضا عن الله ، وفي الحديث المأثور عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولًا)). والرضا عن الله ورد في مثل قوله: ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ [البينة:٨] ، ومتعلق الرضا بالله : أسماؤه سبحانه وتعالى وصفاته ، ومتعلق الرضا عنه: ثوابه جل وعلا وجزاؤه .

فمثل هذه الأمور ينبغي أن يروِّض المسلم فيها نفسه على الإقبال على الله ، وكلما اشتدت الفتن ازداد إقبالًا على الله عز وجل ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : ((الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ)) ، وفي الحديث الآخر وهو في الصحيح قال عليه الصلاة والسلام : ((سُبْحَانَ اللَّهِ ، مَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الخَزَائِنِ وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الفِتَنِ، مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجَرِ حَتَّى يُصَلِّينَ)) هذا فيه أن المسلم ينبغي عليه في الفتن أن يقبِل على العبادة ، على الذكر ، على الاستكانة ، على الخضوع لله سبحانه وتعالى ، بينما كثير من الناس في الفتن تشغلهم الفتن عن ذكر الله ، بل إنَّ كثير من الناس تشغلهم الفتن عن طاعة الله ، كم من أناسٍ شغلتهم الفتن عن إقامة الصلاة في أوقاتها ، كم من أناسٍ أوقعتهم الفتن في منكرات

ومحرمات وأمور تُسخط الله سبحانه وتعالى ، فالفتن جارفة ومهلكة ولا يسْلَم منها إلا من سلَّمه الله سبحانه وتعالى ووقاه .

وقول معاذ رضي الله عنه في هذا الأثر ((**إِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءً وَفِتْنَةً**)) ؛ جاء في شعب الإيمان للبيهقي عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأنصاري رضي الله عنه قَالَ: «لَا يَأْتِي عليكم عَامٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ » ، قَالُوا: فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْنَا الْعَامُ يَخْصَبُ -يكون خصبًا- وَالْعَامُ لَا نَخْصَبُ فِيهِ يعني مرة ومرة ، قَالَ: «إِنِّي وَاللهِ لَا أَعْنِي خِصْبَكُمْ وَلَا جَدْبَكُمْ، وَلَكِنَّ ذَهَابَ الْعِلْمِ أَوِ الْعُلَمَاءِ ، قَدْ كَانَ قَبْلَكُمْ عُمَرُ فَأَرُونِي الْعَامَ مِثْلَهُ» . يمكن أن يقال في زماننا مثلًا هذا : قد كان ابن باز رحمه الله فأروني مثله . لكن مع ذلك الخير باقي ، يعني مع ذكرنا لهذا أيضًا نذكر النصوص التي تبعث في العبد الإقبال والطمأنينة وأن الخير له أهله وهو باقٍ كما قال عليه الصلاة والسلام ((لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)) ، في الحديث الآخر : ((لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا)).

فالشاهد أن الخير باق وقراءة مثل هذه النصوص ليست لتيئيس الإنسان وتقنيطه بل ليقبِل على الله سبحانه وتعالى ، أن يكون من أهل الخير وإن كانوا قلة فيكون من هؤلاء ، قد سمع بعض السلف - أظنه من الصحابة ، الآن لا أذكر- رجلا يدعو يقول "اللهم اجعلني من القليل" لأن الله قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] ، يعني استحضر هذا الرجل أن أهل الخير مقارنة بأهل الأرض قلة ، قال "اللهم اجعلني من القليل" ، قال «يا هذا عليك من الدعاء ما يُعرف» ؛ وهذا فيه تنبيه إلى أن الإنسان أيضًا لا يخترع أدعية وإنما يحرص على الأدعية المعروفة والأدعية المأثورة التي جمعت غاية المطالب العلية وكمال المقاصد النافعة مع السلامة والعصمة من الخطأ .

٢١- وَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ:

عَجَبًا لِلزَّمَانِ فِي حَالَتَيْهِ*وَلِأَمْرٍ دُفِعْتُ مِنْهُ إِلَيْهِ**

رُبَّ يَوْمٍ بَكَيْتُ مِنْهُ فَلَمَّا*صِرْتُ فِي غَيْرِهِ بَكَيْتُ عَلَيْهِ .**

وأورد هذين البيتين قال وهما عن علي وهما في معنى هذا الحديث قال : ((**عَجَبًا لِلزَّمَانِ فِي حَالَتَيْهِ**)) المراد بحالتيه الحالة الأولى والحالة الثانية ؛ الحالة الأولى التي هي حال جيدة ، والحالة الثانية التي هي

دون ذلك ((لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه)) ، فحالة جيدة وحال دون ذلك ؛ هذا هو حال الزمان .

((**وَلِأَمْرٍ دُفِعْتُ مِنْهُ إِلَيْهِ**)) من حالٍ إلى حال .

((**رُبَّ يَوْمٍ بَكَيْتُ مِنْهُ**)) يعني يكون من أهل تلك الحال الجيدة ويبكي منه لما رأى فيه من أشياء مثلا مؤلمة .

قال : ((**فَلَمَّا صِرْتُ فِي غَيْرِهِ بَكَيْتُ عَلَيْهِ**)) لماذا ؟ لأن لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه .

وقتنا هذا كبار السن كانوا في أيامهم في حياتهم يبكون من أشياء تؤلمهم -أعني الصالحين منهم- وفي زمانهم هذا هم أنفسهم يبكون على ذلك الزمان لما رأوا من شدة ، حتى إن بعضهم وهو يتحدث يقول : "انفتح على أبنائنا من أبواب الشر ما كنا نعرفها ولا نعهدها" من خلال الأجهزة والوسائل الحديثة والأمور التي تلوث الأفكار وتغير، فهذه التقلبات والأحوال أمور قدَّرها الله سبحانه وتعالى كونًا وقدرًا لكن المؤمن يدافع قدر الله بقدر الله ؛ بأن يلجأ إلى الله ويصدُق مع الله سبحانه وتعالى ويستعين بالله ، والمؤمن الصادق ينجِّيه الله مهما كانت الفتن إذا صدق مع الله سبحانه وتعالى وحرص على ركوب سفينة النجاة وهي الهدي المبارك كما قال مالك رحمه الله : «السنة سفينة النجاة ؛ من ركبها نجا ، ومن تركها غرق وهلك» .

٢٢- وَأَنْشَدَ أَيْضاً بعضُأهلِ الْعلم مَعْنَاهُ:

إِذَا مَا الدَّهْرُ أَوْرَثَنِي انْتِقَاصًا*حَنَوْتُ لَهُ غِمَاصًا لَا انْتِكَاصًا.**

وَقُلْتُ لَهُ نَعِمْنَا فِيكَ حِينًا*وَهَذَا الْفِعْلُ مِنْكَ لَنَا قِصَاصًا.**

فَطَوْرًا شَاكِرًا مَا كَانَ مِنْهُ*وَطَوْرًا صَابِرًا أَرْجُو الْخَلَاصَا.**

****

هذه الأبيات فيها أيضا التقلبات -تقلبات الزمان- ، والمعنى الذي يشار إليه في هذه الأبيات يظهر والله أعلم يتعلق بحال الإنسان من حيث الشدة والرخاء ، على خلاف المعنى الذي تقدم فيما قبله ، فمن حيث الشدة والرخاء قد يكون الإنسان في حالٍ من الأحوال في زمانه في رخاء ونعمة ثم يتحول

ذلك إلى انتقاص ، قد يكون مثلًا في قوة في بدنه وصحة ثم يتحول إلى انتقاص وضعف ؛ فيقول : ((**إِذَا مَا الدَّهْرُ أَوْرَثَنِي انْتِقَاصًا حَنَوْتُ لَهُ غِمَاصًا لَا انْتِكَاصًا**)) أي أنه يلقى هذه الشدائد التي تلقاه أو تمر به بأنها لا تثنيه ، ينحني بحيث أنها تمر وتعبر لكنه لا تثنيه لا تسبب له انتكاصًا ، وقد جاء في الحديث أن مثل المؤمن مثل خامة الزرع ، وخامة الزرع كما هو معلوم إذا هبَّت الرياح تميل وإذا توقفت رجعت إلى أصلها ، لكنها الرياح لا تكسرها ؛ فمع الرياح الشديدة تميل خامة الزرع ؛ فهذا مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث للمؤمن في حاله مع الشدة والرخاء وتقلب الأحوال .

((**وَقُلْتُ لَهُ نَعِمْنَا فِيكَ حِينًا وَهَذَا الْفِعْلُ مِنْكَ لَنَا قِصَاصًا**)) ؛ نَعِمْنَا فِيكَ حِينًا: أي تمتعنا بنعم متعددة ، وَهَذَا مِنْكَ أي الزمان قِصاص لما كان منا من نعيم في وقت قبل ذلك .

((**فَطَوْرًا شَاكِرًا مَا كَانَ مِنْهُ وَطَوْرًا صَابِرًا أَرْجُو الْخَلَاصَا**)) ؛ وفيما يظهر لي والله أعلم في ثنايا هذه الأبيات بعض المعاني غير المناسبة ؛ من حيث مخاطبة الدهر بهذه الأمور وذكر الشكر والصبر ، فمثل هذه الأمور ومخاطبة الدهر بها والدهر لا يملك ، الدهر مقلَّب وفي الحديث ((يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)) فهو أولًا من جهة لا علاقة له بالمعنى الذي فيما قبله ، ومن جهةٍ أخرى فيما يظهر لي لا يسْلم من بعض المعاني غير المناسبة .

٢٣- وَاجْتَمَعَ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْعُبَّادِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي زَمَنِهِ شَيْئًا؛
فَأَنْشَأَ الأول يَقُولُ: إِنْ دَامَ ذَا الدَّهْرُ لَمْ يُحْزَنْ عَلَى أَحَدٍ*مِمَّنْ يَمُوتُ وَلَمْ يُفْرَحْ بِمَوْلُودِ**
وَأَنْشَأَ الثَّانِي يَقُولُ: هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نُحَذِّرُهُ*فِي قَوْلِ كَعْبٍ وَفِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودِ**
وَأَنْشَأَ الثَّالِثُ يَقُولُ: أَعْمَى أَصَمُّ مِنَ الْأَزْمَانِ مُلْتَبِسٌ*وَفِيهِ لِلنَّفْسِ تَصْوِيبٌ بِتَصْعِيدِ**
وَأَنْشَأَ الرَّابِعُ يَقُولُ: فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ مَنْجَاةً وَمُدَّخَلًا*لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَوْ فِي قَعْرِ مَلْحُودِ.**

****

أورد هنا هذا الخبر عن اجتماع أربعة من العبَّاد ، ((**فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لِيَقُلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي زَمَنِهِ شَيْئًا**)) والمراد بقوله «لِيَقُلْ فِي زَمَنِهِ شَيْئًا» أي وصف زمنه من حيث الحال التي يراها ويشاهدها في زمنه ولاسيما مقارنةً بالذي قبله .

فقال أحدهم : ((**إِنْ دَامَ ذَا الدَّهْرُ لَمْ يُحْزَنْ عَلَى أَحَدٍ**)) يعني إن بقيت الأمور على ما هي عليه من اشتدادها ((**لَمْ يُحْزَنْ عَلَى أَحَدٍ مِمَّنْ يَمُوتُ**)) لأن موته خلاص من هذه الشدائد وسلامةٌ وخلاصٌ من هذه الفتن .

((**وَلَمْ يُفْرَحْ بِمَوْلُودِ**)) لأن المولود وُلد وهو يستقبل مثل هذه الأمور وهذه الشدائد وهذه الفتن .

ولكن هذا كلام عبَّاد وليس كلام علماء ، وإلا المسلم يفرح بالمولود ويتقي الله سبحانه وتعالى فيه أيًّا كانت الأحوال ويجاهد النفس على تربيته وهو من النعم والهبات العظيمة كما قال الله عز وجل في أواخر سورة الشورى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ وهذه أحوال الناس من حيث الأولاد وعدم الأولاد أنهم على أربعة أقسام :

١. قسم يمن الله عليه بالبنات دون البنين .

٢. وقسم يمن الله عليه بالبنين دون البنات .

٣. وقسم يمن عليه بالبنين والبنات ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ أي يعطيه بنين وبنات .

٤. ومنهم من يكون عقيمًا لا ينجِب .

وهذه القسمة أيضًا وجدت حتى في الأنبياء ؛ منهم من أعطاه الله البنين دون البنات مثل إبراهيم ، ومنهم من أعطاه البنات دون البنين مثل لوط ، ومنهم من جمع الله له بين البنين والبنات مثل نبينا عليه الصلاة والسلام ، ومنهم من لم يولد له مثل عيسى عليه السلام .

فالمولود هبة ، ولا ينبغي أن يقابل الإنسان المولود ذكرًا أو كان أنثى بعدم فرح أو بحزن ؛ لأن الذي أوجده تكفَّل برزقه ، وإذا لجأ الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى واتقى الله في هذا المولود سلَّمه الله عز وجل وحفظه . فقوله «ولم يُفرح بمولود» هذا غير صحيح ، والله عز وجل تكفل بأرزاقهم ، إن كان المقصود بالشدة هنا الشدة من حيث قلة ذات اليد والفقر ، الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ

إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الإسراء:٣١] ، فالله تكفل برزقهم ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود:٦] . وعلى كلٍ هذا كما ذكرت كلام عبَّاد وليس كلام علماء.

قال : ((**وَأَنْشَأَ الثَّانِي يَقُولُ : هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نُحَذَّرُهُ**)) أي نحذَّر منه ((**فِي قَوْلِ كَعْبٍ وَفِي قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ**)) ؛ نعم جاء عن كعب وعن ابن مسعود وعن معاذ وأبي مسعود وغيرهم بيان لأحوال الزمان والتغير الذي يحصل للناس ، ومثل هذه الأمور وإن كانت وجاء الخبر بها واقعة قدرًا قدَّرها الله سبحانه وتعالى إلا أن المؤمن مطالَب باتقاء الله عز وجل في الفتن والاستعاذة به جلَّ وعلا وصدق اللجوء إليه ولزوم عبادته وتحقيق تقواه جل وعلا ، لأن هذه الدار دار ابتلاء وامتحان ، وتقدم معنا في أثر أبي مسعود البدري رضي الله عنه تقرير مثل هذا المعنى .

قال : ((**وَأَنْشَأَ الثَّالِثُ يَقُولُ: أَعْمَى أَصَمُّ مِنَ الْأَزْمَانِ مُلْتَبِسٌ وَفِيهِ لِلنَّفْسِ تَصْوِيبٌ بِتَصْعِيدِ**)) ؛ وهذا أيضًا وصف للزمان واشتداد الأمور فيه ، ولعله يصف اشتداد الفتن ، والفتن إذا اشتدت هذا وصفها يقال عن الفتنة إنها عمياء صمَّاء بكماء ، ولهذا يقع في الفتنة ويهلك أكثر الناس لأن هذا وصف الفتن «عمياء بكماء صماء» وأيضا لما قال : ((لِلنَّفْسِ تَصْوِيبٌ بِتَصْعِيدِ)) أي النفس في الفتن تضطرب وتتقلب ولا ينضبط لها حال ، ولا ينجو من الفتن إلا من نجاه الله سبحانه وتعالى ووفقه بصدق التجائه إلى الله سبحانه وتعالى .

((**وَأَنْشَأَ الرَّابِعُ يَقُولُ: فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ مَنْجَاةً وَمُدَّخَلًا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَوْ فِي قَعْرِ مَلْحُودِ**)) ؛ وهذا أيضًا يصف الشدة -شدة الأحوال في زمانه- وأن الإنسان يبحث لنفسه النجاة ويطلبها ولو كان في مكان ضيق يلزمه ويكون فيه بعيدًا عن الفتن والخوض فيها ، ولعل هذا هو المعنى المراد والله أعلم .

٢٤- وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: «الزَّمَانُ لَا عَيْبَ لَهُ وَلَا ذَمَّ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصَرِّفُ أَقْدَارَهُ فِيهِ» .

****

إيراد هذا الخبر عن بعض الحكماء هو من جميل صنع ابن البنا رحمه الله تعالى ، لأن فيما قبله ما هو منتقَد كما سبق بيانه في عيب الزمان ؛ فأورد هذا الأثر منبهًا على ذلك قال : ((**قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الزَّمَانُ لَا عَيْبَ لَهُ وَلَا ذَمَّ**)) فلا يُتجه إليه بالعيب ولا بالذم ((**لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصَرِّفُ**

أَقْدَارَهُ فِيهِ)) بمعنى أن الزمان لا يملك شيئا فلا يعاب ولا يُمدح ولا يُذم لأنه مقلَّب ولا يملك من أمر التقلُّب شيئا ، إنما الأمر لله سبحانه وتعالى هو الذي يقلب الدهر جل وعلا كيف يشاء ، ولهذا لا يُتجه للدهر بالحمد كما أنه لا يُتجه إليه بالذم ، وكان مر معنا في الأبيات التي ذكر قول الناظم «**فَطَوْرًا شَاكِرًا مَا كَانَ مِنْهُ وَطَوْرًا صَابِرًا أَرْجُو الْخَلَاصَا**» يعني هذا كله فيما يتعلق بمخاطبة الدهر ، فالدهر لا يملك من الأمر شيئا فلا يُمدح على ما جعل الله فيه من الخير ، ولا يُذم على ما جعل الله سبحانه وتعالى فيه من بلاء وفتنة قال : ((**لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُصَرِّفُ أَقْدَارَهُ فِيهِ**)) وفي الحديث ((يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)) وهذه التقلبات في الليل والنهار والتقلبات في الأحوال هذه كلها أمور بقدر الله وقضائه سبحانه وتعالى .

٢٥- وَأَنْشَدَ:

نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَا* **وَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا**

وَقَدْ نَهْجُو الزَّمَانَ بِغَيْرِ جُرْمٍ* **وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بِهِ هَجَانَا**

دِيَانَتُنَا التَّخَادُعُ وَالتَّرَائِي* **فَنْحَنُ لَهُ نُخَادِعُ مَنْ يَرَانَا**

****

وفي المعنى نفسه أورد هذه الأبيات ((**نَعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَا**)) يعني كأن الإنسان عندما يعيب الزمان يريد بذلك كأنه يُخْلي مسؤوليته ، والزمان لا يملك شيئا لكن أنت عبدٌ مسؤول أمام الله عز وجل ومطلوبٌ منك العبودية لله عز وجل كيفما كانت الحال ؛ إن كانت شدة لها عبودية ، وإن كانت رخاء لها عبودية ، وإن كانت فتنة لها عبودية ، وأنت في دار امتحان بأنواع من الامتحانات كيف تعبد الله عز وجل في كل حال ؟ كيف تلجأ إلى الله سبحانه وتعالى ؟ فكثير من الناس ينشغل بعيب الزمان عن عيب نفسه والعيب فيه هو والملامة عليه والمحاسبة عليه ؛ فينبغي أن يعمل على صلاح نفسه كيفما كان الزمان وينظر عبوديته المطلوبة منه في الحال التي هو عليها والزمان التي هو عليها فيحقق تلك العبودية صابرًا محتسبًا .

قال : ((**وَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا**)) أي أن العيب فينا نحن أهل الزمان لا الزمان نفسه .

((**وَقَدْ نَهْجُو الزَّمَانَ بِغَيْرِ جُرْمٍ**)) ؛ و«قد» تستعمل تارةً للتكثير وتارةً للتقليل وتارةً للتحقيق ، وهنا استعمالها من النوع الثالث «التحقيق» ، لأن من يهجو الزمان هو في الحقيقة هجاه بغير جُرم ، الزمان لا يملك شيئا حتى يذم أو يهجى ، الزمان أمره بيد الله سبحانه وتعالى ولا يملك شيئًا من أمر التقلب والشدة والفتنة وغير ذلك لا يملك شيئا ، فالزمان مقلب .

((**وَقَدْ نَهْجُو الزَّمَانَ بِغَيْرِ جُرْمٍ وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ بِهِ هَجَانَا**)) ؛ وهذا في معنى الذي قبله «وَمَا لِزَمَانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا» أي أن العيب الذي نهجو به الزمان لو نطق الزمان لقال العيب الذي تذمونني فيه هو عيبكم أنتم .

ثم يبين حال كثير من الناس ((**دِيَانَتُنَا التَّخَادُعُ وَالتَّرَائِي**)) ؛ التخادع: أي يخدع بعضنا بعضا . والترائي: أي كلٌ يُري من نفسه للآخر صلاحًا ؛ الترائي بالأعمال والترائي بالديانة ، ولكن فيه ما فيه من مثلا الانحلال والفساد لكنه إذا لقي الناس أخذ يريهم من نفسه صلاحًا وأدبًا ونحو ذلك .

((**دِيَانَتُنَا التَّخَادُعُ وَالتَّرَائِي فَنْحَنُ لَهُ نُخَادِعُ مَنْ يَرَانَا**)) ؛ «له»: أي للزمان الذي نعيشه ونحياه نخادع من يرانا.

٢٦- وَأَنْشَدَ أَيْضًا:

أَرَى حُلَلًا تُصَانُ عَلَى رِجَالٍ*وَأَعْرَاضًا تُذَلُّ فَلَا تُصَانُ**

يَقُولُونَ الزَّمَانُ بِهِ فَسَادٌ*وَهُمْ فَسَدُوا وَمَا فَسَدَ الزَّمَانُ**

****

هذان البيتان عظيمان جدًا وفيهما معاني قوية ولاسيما الأول ؛ يقول فيه الناظم ((**أَرَى حُلَلًا تُصَانُ عَلَى رِجَالٍ**)) المراد بالحلل : الثياب ، فيقول ((أَرَى حُلَلًا تُصَانُ عَلَى رِجَالٍ)) يعني يعتني أصحابها بها نظافةً وحبكًا وترتيبًا وصيانةً من أن يصل إليها شيء من القذر أو شيء من الأذى محافظةً على نقائها .

((**وَأَعْرَاضًا تُذَلُّ فَلَا تُصَانُ**)) أي يكون هذا الذي معتني بثيابه ومحافظ عليها ومعتني بها غير مبالٍ بأعراض الناس ، يحافظ على ثيابه ولا يبالي بأعراض الناس ، يعتني بثيابه تكون منه عناية بثيابه صيانةً وحبكا ولا يبالي بأعراض المسلمين وقيعةً وهتكا . وهذه مصيبة أن تبلغ الحال أن يكون ثوبه الذي عن

قريبٍ يبلى ويلقيه ويستبدله بآخر أهم عنده وأولى من عرض أخيه المسلم ، فيصون ثوبه ويعتني به ولا يبالي بأعراض المسلمين ، أبلَغ الأمر هذا المبلغ أن كان ثوبه الذي هو قطعة من القماش أهم عنده من عرض أخيه ؟! يعتني بثوبه عناية دقيقة ولا يبالي بعرض أخيه !! يحرص أن لا يدنَّس ثوبه ولا يبالي بأن يدنس عرض أخيه !! أبلغ الأمر به هذا المبلغ أنَّ هذا الثوب أولى عنده من عرض أخيه !! ((أَرَى حُلَلًا تُصَانُ عَلَى رِجَالٍ وَأَعْرَاضًا تُذَلُّ فَلَا تُصَانُ)) .

((**يَقُولُونَ الزَّمَانُ بِهِ فَسَادٌ**)) كثير من الناس عندما يلام على أخطائه وعلى سوء تصرفاته يجعل اللوم على الزمان يقول : هذا هو الزمن ، وهذا الوقت الذي نحن هكذا وجدنا فيه ؛ فـ ((**يَقُولُونَ الزَّمَانُ بِهِ فَسَادٌ وَهُمْ فَسَدُوا وَمَا فَسَدَ الزَّمَانُ**)) .

بَابٌ مَا يَجِبُ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ مِنْ طَلَبِ السَّلَامَةِ وَلُزُومِ الْوَطَنِ

٢٧- أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَلَّالُ الْحَافِظُ، رَحِمَهُ اللَّهُ أَخْبَرَنَا عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ شَاهِينَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَغَوِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَبِي الشَّوَارِبِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ زِيَادٍ، حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ أَبِي كَبْشَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُم فتناً كقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي)). قَالُوا:فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ:((كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ)) .

****

قال رحمه الله تعالى ((**بَابٌ مَا يَجِبُ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ مِنْ طَلَبِ السَّلَامَةِ وَلُزُومِ الْوَطَنِ**)) ؛ هذا بابٌ عقده رحمه الله تعالى لبيان ما يجب على المسلم عندما تظهر الفتن وتشرئب ، وأن الواجب عليه أن لا يستشرف لها ؛ لأن من استشرف للفتن أهلكته ولم يحمد العاقبة ويندم في دنياه وأخراه ، فالسلامة في الفتن ترك الفتنة وتجنب الفتن والاستعاذة بالله سبحانه وتعالى منها ، ولهذا عند ظهور الفتن يحرص المسلم على طلب السلامة .

ما معنى طلب السلامة؟ أي إذا هاجت الفتنة يحرص على أن لا يكون له يدٌ في هذه الفتنة ؛ لا بانتهاك عرض ، ولا بوقوعٍ في مثلا دم حرام ، أو قتل مسلم ، أو اعتداء على مال ((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ))

وبالفتن سبحان الله ترخص الدماء وترخص الأعراض والأموال ويكثر الاعتداء في هذه الأشياء ، وقد طلب رجل من ابن عمر رضي الله عنهما قال : "اكتب لي بالعلم كله" حريص جدًا قال اكتب لي بالعلم كله !! فقال له ابن عمر : «إن العلم كثير ، ولكن إن استطعت أن تكون خميص البطن من أموال المسلمين ، خفيف الظهر من دمائهم ، كافَّ اللسان عن أعراضهم ، لازمًا لجماعتهم فافعل» ، ذكر رضي الله عنه هذه الأمور الثلاثة وأنها جمعت للمسلم جماع الخير ، وهي التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ((إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ)) .

وسبحان الله إذا اشتدت الفتن الدماء ترخص وتراق ويريق المسلم دم المسلم ، وأيضا الأعراض ترخص ويعتدي المسلم على عرض أخيه المسلم غيبةً ونميمة وسخرية واستهزاءً وتطاولًا وتعديًا ، وكذلك الأموال ترخص ، ويرى في الفتنة كثير من الناس أن له حق في تلك الأموال ويأخذها ولا يبالي !!

فالسلامة في الفتن يحرص عليها المسلم ، ما معنى السلامة؟ قال : ((**بَابُ مَا يَجِبُ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ مِنْ طَلَبِ السَّلَامَةِ**)) أي: أن يخرج من الفتنة سليمًا لم يعتدِ على دم ولم ينتهك عرض ولم ينتهب مال ، وهي أمور ثلاثة جاء التأكيد عليها مرات كثيرة في الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ الدماء والأعراض والأموال . فالسلامة في الفتنة أن يخرج ولم يعتدِ على شيء من هذه الأمور ، لم يعتد على دم ولا قطرة دم يتسبب في حصولها ، ولا أيضًا انتهاك لعرض لا بغيبة ولا بنميمة ولا سخرية ولا غير ذلك ، ولا أيضًا اعتداء على مال الآخرين ؛ فالسلامة من الفتن .

((**وَلُزُومِ الْوَطَنِ**)) المراد بـ«لزوم الوطن» : لزوم الإنسان مسكنه مكانه ، لا يشرئب للفتن لا يبحث عنها ، وفي الحديث عن نبينا عليه الصلاة والسلام انه قال : ((إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ)) .

أورد رحمه الله تعالى حديث أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ ؛ انتبه لكلمة «**يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ**» أي أن هذا المعنى الذي ذُكر هنا مما يحتاج إليه في الخطابة العامة والبيان والنصيحة للناس ، وإذا كان هذا الكلام قاله على المنبر رضي الله عنه في زمانه فما أحوج الناس في مثل هذا الزمان أن

يُخطب على المنبر بمثل هذه المعاني وبمثل هذا البيان والنقل لهذه الأحاديث العظيمة عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

على أن بعض الناس عندما يصاب بشيء من الهوى في الفتن إن سمع بعض الأحاديث تقال على المنابر انزعج وتضجر وتضايق وتمنى أن الخطيب لا يقول هذه الأحاديث ، وما ذاك إلا أنَّ قلبه أصيب بشيء من الهوى ولهذا وُجد فيه هذه البغضة لأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتجد بعضهم إذا سمع أحاديث لا توافق هواه اعترض وقال "ليس هذا وقته" ، وإذا كانت توافق هواه قبِلها !! وهذه مصيبة من المصائب التي يبتلى بها كثير من الناس عندما تشرئب الفتن ويصاب بشيء منها .

قال: ((**سمعت أبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُم فتناً كقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ**)) ؛ هذا إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم بأمر كوني قضاه الله سبحانه وتعالى وقدَّره وهو كائن وواقع ، وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم لنا بذلك ليس إخبارًا مجردًا ، بل لبيان ما ينبغي أن يكون عليه المسلم الصادق مع الله سبحانه وتعالى في مثل ذلك الوقت الذي تكون فيه الفتن التي كقطع الليل المظلم . وما معنى قوله «كقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ»؟ حتى تفهم ذلك تصور حال شخص له وجهة معينة له طريق معين يريد الوصول إليه لكنه في ليل مظلم وليس بيده مصباح كيف تكون حاله ؟ وكيف يكون سيره ؟ وفي طريقه مثلا أخشاب ، في طريقه حُفر ، في طريقه كذا ؛ فقطع الليل المظلم السائر فيها لا يبصر طريقه ، ولهذا لا ينجو في الفتن إلا من نجَّاه الله وصدق في لجوئه إلى الله سبحانه وتعالى .

قال : ((**إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُم فتناً كقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ؛ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا**)) ؛ بمعنى أن في تقلبات ليست القضية في الفتن أنه مثلا يتحول من سنة إلى بدعة أو من طاعة إلى معصية ، بل يبلغ الأمر إلى أن يتحول بعض الناس من الإيمان إلى الكفر ؛ وهذا تنبيه إذا كان هناك تحول من الإيمان إلى الكفر فمن باب أولى أن يكون هنا تحولات دون ذلك ؛ تحول من سنة إلى بدعة ، تحول من طاعة إلى معصية ، إذا كان هناك تحول من إيمان إلى كفر فهذه من باب أولى ، فنبَّه بالأشد على ما هو دونه ، فالفتن يكون فيها تحولات كثيرة ؛ يتحول الإنسان من طاعة إلى معصية ، يتحول من سنة إلى بدعة ، يتحول إلى أمر أشد من ذلك من إيمان إلى كفر ، فالتحولات تكثر في الفتن إلا من ثبته الله سبحانه وتعالى وسلَّمه وعافاه .

قال : ((**وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا**)) أيضًا على خط آخر في الفتن بعض الناس تكون الفتن سبب لهدايته ، والله عز وجل يجعل له نظرًا آخر إلى الفتن فيصلح وتتحول حاله إلى الهداية ، ((**وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا**)) .

ثم بيَّن عليه الصلاة والسلام ما المطلوب في الفتن ؟ وأن الواجب على العبد أن لا يستشرف للفتن ولا يبرز لها ، قال : ((**الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي**)) بمعنى أنه كلما كان أبعد عن الفتن كان أسلم ، وكلما كان أقرب إليها كان أخطر عليه ؛ فإذا كان قاعدًا فهو خير من القائم ، وإذا كان قائما فهو خير من الماشي ، وإذا كان ماشيًا كان خيرًا من الساعي ؛ بمعنى أنه كلما كان أقرب للفتن كان أشد وأخطر عليه ، وكلما كان أبعد عنها كان أسلم له .

((**قَالُوا:فَمَا تَأْمُرُنَا؟**)) وهذا السؤال إنما يطرحه الحريص كما هو كان حالهم رضي الله عنهم وأرضاهم .

((**قَالُوا:فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ**)) ؛ أحلاس البيوت: أي ملازمين للبيوت مثل الفراش الذي في البيت ، ((كُونُوا أَحْلَاسَ بُيُوتِكُمْ)) أي يلازم الإنسان بيته ولا يشرئب لهذه الفتن ولا يكون له فيها لا يد ولا لسان ولا مشاركة طلبًا للمعافاة والسلامة .

الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى يقول معلقًا حول هذا المعنى يقول في كتابه «زاد المعاد» وهو يتكلم عن أنواع الفتن لأن كلمة الفتنة لها إطلاقات ولها معاني بحسب السياق التي وردت فيه ، فيقول في زاد المعاد : « وَأَمَّا الْفِتْنَةُ الَّتِي يُضِيفُهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَى نَفْسِهِ، أَوْ يُضِيفُهَا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ كَقَوْلِهِ: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ} [الأنعام:٥٣] فَتِلْكَ بِمَعْنًى آخَرَ ؛ وَهِيَ بِمَعْنَى الِامْتِحَانِ وَالِاخْتِبَارِ وَالِابْتِلَاءِ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ - أي كما قال تعالى ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾ [الأنبياء:٣٥] أي بمعنى الامتحان والاختبار- فَهَذِهِ لَوْنٌ ، وَفِتْنَةُ الْمُشْرِكِينَ لَوْنٌ ، وَفِتْنَةُ الْمُؤْمِنِ فِي مَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ لَوْنٌ آخَرُ، وَالْفِتْنَةُ الَّتِي يُوقِعُهَا بَيْنَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ -وهي التي مرت معنا في الحديث إن بين أيديكم فتنا- وَالْفِتْنَةُ الَّتِي يُوقِعُهَا بَيْنَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ كَالْفِتْنَةِ الَّتِي أَوْقَعَهَا بَيْنَ أَصْحَابِ علي ومعاوية وَبَيْنَ أَهْلِ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ، وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَتَقَاتَلُوا وَيَتَهَاجَرُوا لَوْنٌ آخَرُ ، وَهِيَ الْفِتْنَةُ الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((سَتَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ

الْمَاشِي ، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي)) ، وَأَحَادِيثُ الْفِتْنَةِ الَّتِي أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا بِاعْتِزَالِ الطَّائِفَتَيْنِ هِيَ هَذِهِ الْفِتْنَةُ. وَقَدْ تَأْتِي الْفِتْنَةُ مُرَادًا بِهَا الْمَعْصِيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي} [التوبة:٤٩] ، يَقُولُهُ الجد بن قيس لَمَّا نَدَبَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ يَقُولُ: ائْذَنْ لِي فِي الْقُعُودِ وَلَا تَفْتِنِّي بِتَعَرُّضِي لِبَنَاتِ بَنِي الْأَصْفَرِ فَإِنِّي لَا أَصْبِرُ عَنْهُنَّ ، قَالَ تَعَالَى: {أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} [التَّوْبَةِ: ٤٩] أَيْ: وَقَعُوا فِي فِتْنَةِ النِّفَاقِ، وَفَرُّوا إِلَيْهَا مِنْ فِتْنَةِ بَنَاتِ الْأَصْفَرِ » انتهى كلام ابن القيم رحمه الله تعالى وهو في كتابه زاد المعاد .

٢٨- أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بِشْرَانَ الْوَاعِظُ الزَّاهِدُ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْآجُرِيُّ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْحُلْوَانِيُّ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ يَسْتَشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْ لَهُ، وَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ)).

****

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو بمعنى الحديث الذي قبله حديث أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((**تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ يَسْتَشْرِفْ لَهَا**)) ؛ معني «يَسْتَشْرِفْ لَهَا» أي يبرز لها ويسعى في طلبها ويمشي إليها ويبحث عنها ((**تَسْتَشْرِفْ لَهُ**)) ، وإذا استشرفت له الفتنة وكان من أهلها أهلكته .

قال : ((**وَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**)) مثل ما تقدم في الحديث الذي قبله لما قالوا : فما تأمرنا؟ قال : ((كونوا أحلاس بيوتكم)) .

فإذًا هذا وما قبله يدل على أن الواجب على المسلم في الفتن طلب السلامة والإمساك عن الخوض في الفتن . قال ابن القيم رحمه الله في كتابه حادي الأرواح : «والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجبٌ احترامها ؛ فإن ابتُليت فقدِّم نفسك دون دينك ، ولا تُعِن على الفتنة بيدٍ ولا لسان ، ولكن اكفُف لسانك ويدك وهواك والله المعين» .

٢٩- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رَزْقَوَيْهِ، أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارُ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورٍ الرَّمَادِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:لَمَّا وَقَعَتْ فِتْنَةُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ لِأَهْلِهِ: إِنِّي قد جُنِنْتُ فقيِّدوني، فَقَيَّدوهُ، فَلَمَّا زَالَتِ الْفِتْنَةُ قَالَ لَهُمْ: حُلُّوا قَيْدِي، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِنَ الْجُنُونِ، وَعَافَانِي مِنْ فِتْنَةِ عُثْمَانَ رضي الله عنه

****

ثم أورد هذا الأثر عن طاووس رحمه الله قَالَ : ((**لَمَّا وَقَعَتْ فِتْنَةُ عُثْمَانَ**[1] **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ لِأَهْلِهِ : إِنِّي قد جُنِنْتُ فقيِّدوني**)) ؛ وهذا الخبر إن صح الإسناد فلعل هذا الرجل وجد من نفسه ما يخشى على نفسه منه من وقوعٍ في إما دمٍ حرام أو تعدٍّ ظالم وعلِم من نفسه هيجانًا في مثل ذلك فخشي أن يكون منه ذلك فقال ((**إِنِّي قد جُنِنْتُ فقيِّدوني ، فَقَيَّدوهُ**)) ؛ والأمر في هدي النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ هذا المبلغ ، وإنما أمَر الإنسان بالمجاهدة مجاهدة النفس ولزوم البيت دون أن يبلغ الأمر هذا المبلغ ، لأنه أيضًا ثمة فرائض يحتاج إلى أن يكون طليق اليدين يتوضأ ويصلي ويؤدي عبادة الله سبحانه وتعالى ، فالهدي النبوي ما جاء بمثل هذا ، لكن إن صح الإسناد فهذا الرجل خشي على نفسه أن يقع منه أمرًا عظيما وعلِم من نفسه أنها هاجت فخشي واعتبر ذلك جنونًا وُجد وجد في نفسه فخشي أن يقع منه شيئا فطلب منهم ما طلب .

قال : ((**فَلَمَّا زَالَتِ الْفِتْنَةُ قَالَ لَهُمْ: حُلُّوا قَيْدِي، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِنَ الْجُنُونِ**)) قوله «الحمد لله الذي عافاني من الجنون» فيه إشارة إلى أن نفسه أصابها هيجان وعدم انضباط وكان خشي من نفسه أن يقع شيء لا يحمد عاقبته ، فقال ((**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِنَ الْجُنُونِ ، وَعَافَانِي مِنْ فِتْنَةِ عُثْمَانَ**)) أي أنه لم يكن له فيها خوضٌ لا بيدٍ ولا بلسان .

وقول هذا الرجل «إِنِّي قد جُنِنْتُ» ربما أنه يحكي حقيقة تقع لبعض الناس ، يعني في الفتن يصاب بشيء من الاختلال وعدم الانضباط وعدم الاتزان فيتعامل مع الأمور بلا عقل ، وإنما يتعامل معها بهيجان النفس دون أناةٍ وتروٍّ وإعمالٍ للعقل ، فيتعامل مع الأمور بلا تؤدة وبتهور واندفاع ثم يكون منه أمور لا يحمد عاقبتها .

---

١ أي الفتنة التي كانت في زمن عثمان رضي الله عنه وأرضاه .

٣٠- أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْبَزَّازُ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْهَرَوِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ السَّمَرْقَنْدِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ الرَّازِيَّ، يَقُولُ:إِلَهِي، أَدْعُوكَ بِلِسَانِ نِعَمِكَ فَأَجِبْنِي بِلِسَانِ كَرَمِكَ ، إِلَهِي ، إِذَا شَهِدَ لِيَ الْإِيمَانُ بِتَوْحِيدِكَ، وَنَطَقَ لِسَانِي بِتَحْمِيدِكَ، وَدَلَّنِي الْقُرْآنُ عَلَى فَوَاضِلِ جُودِكَ، وَيَشْفَعُ لِي مُحَمَّدٌ خَيْرُ عَبِيدِكَ، فَكَيْفَ لَا يَبْتَهِجُ رَجَائِي بِحُسْنِ مَوْعُودِكَ.

****

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الأثر عن يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ الرَّازِيَّ رحمه الله تعالى وهو مناجاة ودعاء ، يقول فيه رحمه الله : ((**إِلَهِي أَدْعُوكَ بِلِسَانِ نِعَمِكَ فَأَجِبْنِي بِلِسَانِ كَرَمِكَ**)) ؛ أدعوك بلسان نعمك: أي أدعوك وأنا مستشعر نعمتك علي ومنَّك وأن الفضل فضلك والمنَّ منُّك ، فأجبني بلسان كرمك أي بأنك أنت الكريم والمانّ والمتفضل .

((**إِلَهِي ، إِذَا شَهِدَ لِيَ الْإِيمَانُ بِتَوْحِيدِكَ**)) ؛ والتوحيد هو أعظم مطلب وأجلُّ مقصد وأعظم وسيلة .

((**وَنَطَقَ لِسَانِي بِتَحْمِيدِكَ**)) اشتغل لساني حمدًا وثناءً عليك .

((**وَدَلَّنِي الْقُرْآنُ عَلَى فَوَاضِلِ جُودِكَ**)) أنك المتفضل الجواد المنعِم .

((**وَيَشْفَعُ لِي مُحَمَّدٌ خَيْرُ عَبِيدِكَ**)) وهذا فيه ذكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل التوحيد ، لأنه ذكر التوحيد والتحميد ، وفي الحديث قال أبو هريرة «مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟» قَالَ: ((مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ)) ، وهو يتحدث عن رجائه بالله سبحانه وتعالى ، وهذه كلها مناجاة لله عز وجل ، ومما يرجوه من الله عز وجل أن يجعله من هؤلاء أهل التوحيد الذين يشفع لهم النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ((**فَكَيْفَ لَا يَبْتَهِجُ رَجَائِي بِحُسْنِ مَوْعُودِكَ**)) ؛ وهذا دعاء ومناجاة يُنقل عن يحي بن معاذ رحمه الله تعالى ، لكن يبقى أن يقال : أن الدعاء المأثور عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام جمع بين أمرين عظيمين لابد من التنبه لهما ؛ الأول: أن دعواته عليه الصلاة والسلام اشتملت على غاية المطالب العلية وكمال المقاصد الرفيعة ، وفي الوقت نفسه دعواته عليه الصلاة والسلام سالمة معصومة لا خطأ فيها ولا زلل ، لأنها دعوات معصومة ليس فيها خطأ ،

ومن سواه ليس كلامه بمعصوم قد يكون فيه نقص قد يكون فيه خطأ قد يكون غيره أولى منه ، ولهذا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ودعواته المأثورة جمعت الخير كله ، وإذا وُفق المسلم لحفظها ودعاء الله بها والعناية بها فقد وفقه الله سبحانه وتعالى لجماع الخير وجماع المطالب ، ولا يمنع ذلك أن المسلم إذا عرضت له حاجة أو حاجات معينة أن يناجي إلى الله سبحانه وتعالى ويسأله تلك الحاجة ويسمِّيها ، لكن دائمًا تكون العناية بالدعوات العظيمة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم التي هي جوامع الكلم وجمعت الخير كله وسالمة ومعصومة لا خطأ فيها ولا زلل .

٣١- وَكَانَ يَحْيَى كَثِيرًا يَطْلُبُ الْخَلْوَةَ وَالتَّفَرُّدَ مِنَ النَّاسِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَخُوهُ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي كَمْ تَتَرُكُ مِنَ النَّاسِ؟ إِنْ كُنْتَ مِنَ النَّاسِ فَلَا بُدَّ مِنَ النَّاسِ . قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَحْيَى ثُمَّ قَالَ : إِنْ كُنْتُ مِنَ النَّاسِ فَلَا بُدَّ مِنَ اللَّهِ . ثُمَّ أَنْشَأَ يَحْيَى يَقُولُ:

دَعُوا بِاللَّهِ تَعْذَالِي*فَمَا أَنْ تَفْهَمُوا حَالِي...**

دَعُونِي وَاخْرُجُوا عَنِّي*رِجَالَ الْقِيلِ وَالْقَالِ...**

فَيَا شَوْقِي إِلَى شَخْصٍ*إِلَى الرَّحْمَنِ مَيَّالِ...**

وَفِي سِرٍّ من الْأسر*ار حَطَّاطٍ وَرَحَّالِ...**

****

قال ((**وَكَانَ يَحْيَى**)) أي ابن معاذ الرازي ((**كَثِيرًا يَطْلُبُ الْخَلْوَةَ وَالتَّفَرُّدَ مِنَ النَّاسِ**)) أي يؤثر عدم الخلطة بالناس ويؤثر التفرد .

((**فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَخُوهُ ذَاتَ يَوْمٍ**)) أي يلومه على ذلك .

((**فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي كَمْ تَتَرُكُ مِنَ النَّاسِ؟**)) أي لا تخالطهم ولا تجالسهم ولا تؤانسهم ؟!

((**إِنْ كُنْتَ مِنَ النَّاسِ فَلَا بُدَّ مِنَ النَّاسِ**)) مادمت منهم فلابد أن تخالطهم وتجالسهم .

((**قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ يَحْيَى ثُمَّ قَالَ: إِنْ كُنْتُ مِنَ النَّاسِ فَلَا بُدَّ مِنَ اللَّهِ**)) أي تعبدًا وخضوعًا والتجاءً إلى الله سبحانه وتعالى .

((**ثُمَّ أَنْشَأَ يَحْيَى يَقُولُ**)) مبينًا سبب الحال التي هو عليها مبررًا لما فضَّله من الخلوة والتفرد من الناس .

قال : ((**دَعُوا بِاللَّهِ تَعْذَالِي**)) أي لا تلوموني .

((**فَمَا أَنْ تَفْهَمُوا حَالِي**)) لا تلوموني على ما أنا عليه والحال التي أنا عليه لأنكم لن تفهموا حالي ولم تفهموا السبب الذي دفعني لذلك .

((**دَعُونِي وَاخْرُجُوا عَنِّي رِجَالَ الْقِيلِ وَالْقَالِ**)) بمعنى أنه وجد حالهم هكذا ؛ قيل وقال ، مثلًا غيبة ونميمة وسخرية وأشياء من هذا القبيل .

قال : ((**فَيَا شَوْقِي إِلَى شَخْصٍ إِلَى الرَّحْمَنِ مَيَّالِ**)) بمعنى أني لا أمتنع عن المخالطة لو كنت أجد شخصًا يعينني على الطاعة وعلى العبادة ويشد من أزري ويقوِّمني أنا أتمني أن أجد شخصًا تكون هذه حاله .

((**فَيَا شَوْقِي إِلَى شَخْصٍ إِلَى الرَّحْمَنِ مَيَّالِ ، وَفِي سِرٍّ من الْأسرار حَطَّاطٍ وَرَحَّالِ**)) أيضًا يكون حافظًا لسر أخيه ومعوانًا له على الخير .

٣٢- وَأَنْشَدَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ:

مَنْ حَمِدَ النَّاسَ وَلَمْ يَبْلُهُمْ * ثُمَّ بَلَاهُمْ ذَمَّ مَنْ يَحْمَدُ**

وَصَارَ بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنِسًا*يُوحِشُهُ الْأَقْرَبُ وَالْأَبْعَدُ**

****

ثم أورد هذين البيتين لِإِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ قال : ((**مَنْ حَمِدَ النَّاسَ وَلَمْ يَبْلُهُمْ**)) ؛ حمدهم : أي أثنى عليهم ومدحهم وأعجبوه ، ((**وَلَمْ يَبْلُهُمْ**)) : أي لم يمتحنهم ويعرف أحوالهم جيدًا ، ((**ثُمَّ بَلَاهُمْ**)) عرفهم وعرف حالهم ((**ذَمَّ مَنْ يَحْمَدُ وَصَارَ بِالْوَحْدَةِ مُسْتَأْنِسًا يُوحِشُهُ الْأَقْرَبُ وَالْأَبْعَدُ**)) ، ولكن مع ذلك هو أيضًا وفي كل زمان لا يزال الخير باقي ، والإنسان في هذا الباب يتوسط ويعتدل ؛ يجانِب الشر والفساد والظلمات وأهل الباطل ويحرص على الخير والاعتدال والسنة والتوسط ، فالدين وسط لا غلو ولا جفاء ، لا ينحرف الإنسان عن الباطل ولا أيضا يهجر الحق وأهل الخير وأهل الفضل ؛ بل يكون متوسطا .

٣٣- وَأَنْشَدَ الْحُسَيْنُ بن عبد الرَّحْمَن:

طِب عن الْأُمَّةِ نَفْسًا*وَارْضَ بِالْوَحْدَةِ أُنْسًا**

مَا رَأَيْنَا أَحَدًا يَسْوَى*عَلَى الْخِبْرَةِ فَلْسًا**

****

يقول هذا الشاعر : ((**طِب عن الْأُمَّةِ نَفْسًا**)) أي لن تجد من تأنس بمجالسته وتنعم بمرافقته ومصاحبته .

((**وَارْضَ بِالْوَحْدَةِ أُنْسًا**)) لن تجد مثل الوحدة أي الانفراد والخلوة بنفس لن تجد أنسًا مثل ذلك .

((**مَا رَأَيْنَا أَحَدًا يَسْوَى عَلَى الْخِبْرَةِ**)) أي عند الاختبار والامتحان ((**فَلْسًا**)) يعني كل من اختبرناه وجدناه لا يساوي فلس .

هذا يتحدث عن الشيء الذي رآه هو لكن يبقى الخير في كل زمان ويبقى رجاله بفضل الله سبحانه وتعالى في كل زمان ، وهذا الأنس الذي ذكره باعتبار الحال التي هو كان عليها وأيضًا الأشخاص الذي قُدِّر أن يكون لقاؤه بهم ثم توصل إلى هذه النتيجة أن الأنس إنما يكون بذلك .

يقول ابن القيم في كتابه الفوائد : « من فقَد أنسه بِاللَّه بَين النَّاس ووجده فِي الْوحدَة[٢] فَهُوَ صَادِقٌ ضَعِيف ، وَمن وجده بَين النَّاس وفقَده فِي الْخَلْوَة فَهُوَ مَعْلُول[٣] ، وَمن فَقده بَين النَّاس وَفِي الْخَلْوَة فَهُوَ ميت مطرود ، وَمن وجده فِي الْخَلْوَة وَفِي النَّاس فَهُوَ الْمُحب الصَّادِق الْقوي فِي حَاله » . وهو كلام متين كما ترون .

٣٤- وَأَنْشَدَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُسْلِمٍ:

تَوَحَّشْ مِنَ الْإِخْوَانِ لَا تَبْغِ مُؤْنِسًا*وَلَا تَتَّخِذْ خِلًّا وَلَا تَبْغِ صَاحِبا**

وَكُنْ سَامِرِيَّ الْفِعْلِ مِنْ نَسْلِ آدَمٍ*وَكن أَوحديا مَا حَيِيتَ مُجَانِبًا**

فَقَدْ فَسَدَ الْإِخْوَانُ وَالْحُبُّ وَالْهَوَى*فَلَسْتَ تَرَى إِلَّا صَدُوقًا وَكَاذِبًا**

فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ مُدَهْدَهٌ*وَتُنْكَرُ أَحْوَالِي لَقَدْ صِرْتُ رَاهِبًا**

---

[٢] مثل حال هذا الرجل الذي مر معنا ، من فقَد أنسه بِاللَّه بَين النَّاس يعني لم يجد الأنس بين الناس وإنما وجده في الوحدة .

[٣] أي أصابته علة ففي خلوته لا يأنس ، بينما المؤمن الصادق في خلوته يأنس بالله وتكون فرصة له لمزيد الصلة بالله والدعاء والأنس بذكره ومناجاته سبحانه وتعالى .

****

هذا أيضًا مثل ما سبق ؛ الاستيحاش من الإخوان وإيثار الوحدة لأنه لم يجد ، لكن من صدق مع الله سبحانه وتعالى في طلب التوفيق لإخوان الخير ورفقة الصلاح وتحرَّاهم فإنه يجد بإذن الله ، والخير باقٍ ، لكن يحتاج الإنسان في هذا المقام أن يتفقه فيمن يجالس ولا ييأس ، قد قال عليه الصلاة والسلام : ((المرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ)) ، ما دعا إلى الانقطاع لكن يتفقه الإنسان وينظر فيمن يخالل والخير باقٍ ((ولا تزال طائفة من أمتي على الحق)) فالخير باقٍ ، فإذا وجد من شخص أنه يعينه على الخير ويؤازره عليه ويشد من أزره فرح بصحبته وبملازمته ، أما إذا وجد من يعينه على الشر أو على الفساد أو على الأهواء أو على الباطل يحذر من ذلك .

وهذا الناظم كالذي مر معنا في ذكر الحال التي واجهها قال : ((**تَوَحَّشْ مِنَ الْإِخْوَانِ لَا تَبْغِ مُؤْنِسًا وَلَا تَتَّخِذْ خِلًّا وَلَا تَبْغِ صَاحِبا**)) .

((**وَكُنْ سَامِرِيَّ الْفِعْلِ مِنْ نَسْلِ آدَمٍ وَكُنْ أَوحديا مَا حَيِيتَ مُجَانِبًا**)) سامري الفعل : أي كن في فعلك سامري، والسامري: مثل ما جاء في الآية ﴿ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه:٩٧] أي: لا أحد يقربني ولا أحد يمسني ، عوقب بذلك ، وقيل في بعض كتب التفسير أنه إن مسه أحد أصيب باشتداد في حرارة جسمه وألم فيه ، فيحرص أنه ما أحد يقربه ولا أحد يلمسه . فيقول هذا ((**وَكُنْ سَامِرِيَّ الْفِعْلِ**)) والسامري الفعل الذي كان عليه عقوبة له ألَّا يمسه أحد ، لكن هذا المعنى لا يُطلب من المسلم بل يقترب من إخوانه ويتعاون معهم على الخير ويحرص على الخير وأن يكون من أهله لكنه يتجنب الشر ويتجنب الفساد ويتجنب الفتن ويتجنب مواردها .

يقول معلِّلًا لما سبق : ((**فَقَدْ فَسَدَ الْإِخْوَانُ وَالْحُبُّ وَالْهَوَى فَلَسْتَ تَرَى إِلَّا صَدُوقًا وَكَاذِبًا**)) أي إلا من جمع بينهما – قد يكون هذا – أو ترى صدوق وترى كذوب ، وهذا المعنى هو الصحيح ، يعني الناس فيهم صدوق وفيهم كذوب ، فإذا كان فيهم صدوق وفيهم كذوب تجنب الكذوب ورافق الصدوق .

قال : ((**فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ مُدَهْدَهٌ**)) تعرفون معنى مدهده ؟ مستعملة هذه الكلمة حتى هذا الوقت ، ربما يكون فقط فيها تغير في أسلوب النطق وإلا موجودة حتى وقتنا هذا ؛ ما معنى المدهده ؟ حتى عندكم مستعملة ، الإنسان الخبل فاقد الوعي ماذا يقال له ؟ مدهده ، وهذا نفسه موجود بعض

المناطق يقولون دهدوه يعني فاقد وعيه ، هذا هو نفس المعنى ، يعني هي كلمة عربية هذا معناها حتى في كتب اللغة وهي مستعملة بالمعنى نفسه حتى في زماننا ، هنا تقولون مدهده ، بعض المناطق يقولون دهدوه يعني ما له وعي فاقد وعيه غير عاقل .

فهو يقول : ((**فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ مُدَهْدَهٌ**)) أي غير واعي ((**وَتُنْكَرُ أَحْوَالِي لَقَدْ صِرْتُ رَاهِبًا**)) .

وعلى كلٍ مثل هذه الأمور الاعتدال مطلوب والاهتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم مطلوب ، والمسلم مطالب بتجنب الشر والفساد وملازمة الحق والهدى ، والتوفيق بيد الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له . أسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيما ، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحُسن عبادته ، وأن يجنِّبنا والمسلمين أينما كانوا الفتن ما ظهر منها وما بطن .

بقي لنا من الكتاب بابٌ واحد ونتوقف ونكمل إن شاء الله بعد راحة يسيرة للإخوان .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .